بستان المعرفة

جوامع طرابلس.. مملوكية وعثمانية

تعرف مدينة طرابلس الواقعة بشمال لبنان، بكثرة المساجد والتكايا والزوايا والمدارس الدينية التي يعود بناؤها لأيام المماليك والعثمانيين.

في الساحة المركزية لمدينة طرابلس المعروفة بساحة التل، يوجد نصب تذكاري تاريخي، انها الساعة العثمانية ذات الطبقات الخمس، التي اهداها السلطان العثماني «عبدالحميد الثاني» للمدينة، وبجوارها تقع حديقة النشية وقصر نوفل المعروف بمركز رشيد كرامي الثقافي البلدي، وعلى مقربة منه يقع الجامع المنصوري الكبير، المجمع الاثري الاول في المدينة، اسسه السلطان «خليل بن قلاوون» وتم بناؤه عام ١٢٩٤م، وهو اكبر واقدم جوامع المماليك في طرابلس ولبنان، يتميز الجمع المنصوري بكثرة قببه، وتحيط به عدة مدارس قرآنية مثل مدرسة الشيخ الهندي المعرفة ب«المشهد».

ويقع جامع «الاويسية» على مدخل المدينة من جهة الشمال نزولا من قلعة طرابلس، وتم بناؤه في عهد المماليك عام ١٤٦٢م، وعلى مسافة امتار منه يقع جامع «السيد عبدالواحد المكناسي» المغربي الطراز، وسط زقاق ضيّق، وتم بناؤه في عصر المماليك عام ١٣٠٥م.

وبجواره يوجد مسجد «البهاء» وعلى مسافة منهما يوجد جامع «العطار» من عصر المماليك، وبناه «بدر الدين العطار» عام ١٣٢٥م، وجامع «شرف الدين» جامع صغير شيّده حاكم طرابلس العثماني «علي بك الاسعد المرعبي» عام ١٨٢٤م، وجامع «الحميدي» نسبة للسلطان العثماني «عبدالحميد الثاني».

وجامع «البرطاسي» الرابض على ضفاف نهر ابوعلي، هو من اجمل الجوامع المملوكية به تأثيرات بيزنطية في المحراب، وكتابات فاطمية، ونقوش فوق الباب، وهندسة مغربية اندلسية في المئذنة المدهشة، وبالقرب منه يقع جامع «الطحام» المملوكي، ذو المئذنة الرائعة بزخارفها، اما جامع «ارغون شاه» فبناه الامير المملوكي «ارغون الابراهيمي» بين العامين ١٣٩٢- ١٤٠٠م، ويوجد فوقه باب مرسوم للسلطان «قايتباي» يعود تاريخه الى عام ١٤٧٥م، ويمتاز الجامع بمئذنته الاسطوانية المزخرفة الرائعة، وجامع «المعلق» العثماني، بناه «محمود لطفي الزعيم» عام ١٥٥٦م، وهو فوق صف من الدكاكين وفوق الطريق.

الخفاش

في عام ١٧٧٩ اعتقد سكان احدى المدن الايطالية، ان العالم الشهير «سبالانزاني» اصيب بالجنون، بعد اكتسافهم انه يمسك بالخفافيش، ويستأصل عيونها، ثم يطلقها في ظلام الليل، ليراقب سلوكها. لم يخطر لهم ان هذا الرجل يحاول اكتشاف ظاهرة مهمة، وهي قدرة الخفافيش على التحرك والطيران في الجو وسط الظلام، واصطياد الحشرات الطائرة بمهارة، رغم فقدان عيونها!

في البداية اعتقد العلماء الذين شاهدوا التجربة ان الخفافيش تملك حاسة سادسة، تقوم بدور العيون، لكن مواصلة البحث اثبتت انها تطلق اثناء طيرانها صريرا ذا نغمة عالية، يصطدم بأي جسم طائر او عقبة في الجو، فيرتد الصوت اليها، معلنا عن مكان وحجم الجسم الذي اصطدم به، وهي نفس النظرية التي استخدمها العلماء، بعد ذلك لمعرفة عمق البحار، عن طريق موجات صوتية ترتدة، فيعرف العلماء عمق الماء، وما يستقر فيه من حطام سفن او اسراب الاسماك.

قالوا

× اذا صلح القلب صلح الجسد.
× كل معروف صدقة.
× القناعة كنز لا يفنى.
× أدب المرء خير من ذهبه.
×اياك وصاحب السوء، فإنه كالسيف المسلول على صاحبه.

عطاء السماء

وقف الفلاحُ، على طرف حقله، يرنو إلى سنابل القمح، وهي تميلُ وتلمع، كأمواج من ذهب، فانتشى إعجاباً بنفسه، وقال:

-لولا كفاحِيَ الخشنتان، لما كان هذا القمح الوافر!

فابتسمت السماءُ في العلاءِ..

قالت إحدى السنابل:

-نحن أَوْلى بالفضل، كنّا حبوباً يابسة، مدفونة في التراب، فامتصصْنا الغذاء، وشققْنا التراب، وصرنا ننمو، شيئاً فشيئاً، حتى كبرنا، وأنبتَتْ كلّ حبّة، سنبلةً فيها مئة حبة!

وابتسمت السماءُ في العلاء..

قالت الأرض:

-أنا صاحبة الفضل، احتضنْتُ البذورَ صغيرةً، وأرضعتها حتى صارت كبيرة، فلولا ترابي، لما نبتَ قمحٌ، ولا شبع فلاّح!

وابتسمتِ السماءُ في العلاء.

وجاءتِ السنةُ التالية، شديدة مجدبة، فانقطع المطر، واشتدّ الحرّ، وانتشر الجفاف.. حزنتِ الأرضُ القاحلة، ويبسَتْ شفاهها الظامئة..

حزنت البذور، في ظلمة التراب، وخافت أنْ تموت أحلامها، ولا ترى النور.

حزن الفلاحُ على جهده الضائع، وأشفق على عيالِهِ البائسين.

وحزنتِ السماءُ الرحيمة على الجميع، فأرسَلتْ إلى الأرض، سحباً سخيّة، تحمل الأمطار والأفرا

عصفوري

ذات مرةً حاولت أن أمسك عصفوراً حيّاً؛ لجأت إلى الحيلة كما يفعل كلّ الأولاد، جهّزتُ حفرةً تسع عصفوراً كبيراً، وأحضرت قطعةً من الصّخر على شكل رقاقة، ثمّ أسندتها بالعيدان بشكل مناسب، ولم أنسَ أنْ أثبّت دودةً حيّةً من ديدان الأرض، ثم مكثت، دون حراك، بعيداً عن الحفرة؛ أراقب العصافير تروحُ وتجيءُ، تحطّ هنا، تنطّ هناك باحثةً عن طعامها وطعام أولادها! ولم أطل المكوث، لأنّ عصفوراً جائعاً، كان قدَ شاهد دودة الأرض تتحركُ داخل الحفرة، فانقضّ على الدّودة، ولم يدر أنّه وقع في الفخّ! إذ أطبقت عليه رقّاقة الصّخر وحبسته في الحفرة! تسارعت دقّات قلبي حين شاهدتُ العصفور يقع في المصيدة التي رتّبتها له، وأسرعت إليه، لم أكنْ فرحا.. بل كنتُ مضطربا، خائفا! لا أعرف لماذا...؟

تخيلت نفسي عصفوراً وقع في مصيدة، ولا يستطيع الخروج منها! سمعتُ ضرباتِ جناحي العصفورداخلَ الحفرة، كانتْ يداي ترتجفان حين بدأتُ عملية القبض على العصفور، بذلتُ جهداً حتّى لا يفلت منّي؛ كنت أريد أن يرى رفاقي العصفور في يدي، لأثبت لهم أنني صياد ماهر مثل أيّ واحد منهم! حفرت حفرة صغيرة جانب الحفرة الكبيرة، وأدخلت يدي، بل تسللت أصابع كفّي الصغيرة بخوف كبير؛ وكأنني سأقبض على جمرات من نار! هاهي أصابعي تلامس الرّيش الناعم، بدأ العصفور يدور؛ يهرب من أصابعي، وهي تلاحقه.. حتّى أمسكت به.. لم يستسلم العصفور! كان ينتفض بقوّة، فأحطته بكلتا يدي وصرخت بصوت عالٍ: "عصفور.. عصفور.. لقد اصطدتُ عصفوراً.." لم يسمعني أحد. بدأت أدور في مكاني والعصفور يتخبّط بين يدي المحكمتين عليه، كانت العصافير الأخرى تطير من شجرة إلى أخرى تقفز فوق الأرض؛ تفتش عن غذائها.. حينها شعرتُ أنني فعلتُ شيئاً بشعاً، فارتجفتْ يداي بشدّة، وارتختْ أصابعي، ورأيت عصفوري يمضي كسهم في الفضاء!

مازلت أذكر ذلك كلّما رأيت عصفوراً فأهمس هذا هو عصفوري.

المحارب القديم

في إحدى قاعات المتحف الوطني، ذي الواجهة الكبيرة، المنقوشة بزخارف هندسية وحيوانية ونباتية، وقف محارب مصنوع من الجص الأبيض على قاعدة رخامية، واضعاً خوذة معدنية على رأسه، لابساً درعاً على شكل قميص من زرد الحديد، وتحتها سروال معدني له مفاصل عند الركب، منتعلاً صندلاً مصنوعاً من الجلد السميك.

كان المحارب يقف رافعاً رأسه، ماسكاً قبضة سيفه المغمد، واضعاً ترسه المرصع بمسامير نحاسية فوق صدره.

في الجهة المقابلة لذاك المحارب، وضع صندوق زجاجي كبير مليء بالمجوهرات والنقود الذهبية اللامعة.

منذ مدّة.. أي بعد وضع صندوق المجوهرات والنقود في القاعة، شعر المحارب بالضيق والغضب، فالزائرون -أكثر الزائرين - كانوا يقفون أمام صندوق المجوهرات دهشين، يشيرون بسباباتهم إلى هذا العقد، أو ذلك الإسوار خصوصاً النساء.

شدّ المحارب أصابعه على قبضة السيف، كزّ أسنانه على بعضها، قال:

- تباً لهؤلاء الزائرين، إنهم يتحلقون دائماً حول صندوق الجواهر وعيونهم مسمرة على الأطواق والدنانير، أمّا أنا - المحارب القديم - الذي خاض المعارك الضارية، وهزم الأعداء فلا أحد يلتفت إليه.

مرة.. نفد صبر المحارب، وقرر أن ينتقم لنفسه، وإليكم ما حدث. دخلت فتاتان المتحف، وكالعادة.. وقفتا أمام صندوق المجوهرات تنظران إلى محتوياته بإعجاب، وبدأتا تتحازران عن أحلى عقد، وبعد طول مجادلة، توصلتا إلى أنّ العقد المزين بالعقيق الأحمر هو الأحلى، ثمّ استدارتا تريدان الخروج، وفور رؤيتهما المحارب، امتعضت إحدى الفتاتين، قالت:

-أفّ.. ما أبشع هذا الهيكل الحديدي الصّدئ، كيف يضعونه في القاعة نفسها التي تحتوي على الذهب والأحجار الكريمة اللامعة!

هذا ما حدث، أمّا ردّة فعل المحارب، فها أنا ذا سأرويها لكم.

عندما انتهى موعد الزيارة المسائية، وأقفل الحارس باب المتحف، كان المحارب غارقاً في تفكيره، باحثاً عن طريقة يزيح بها صندوق المجوهرات من أمامه، كي تخلو القاعة له.

فجأة.. وبينما هو في شروده، انتبه إلى صوت هامس يقول:

-تعال.. تعال، لقد وجدته، ها هو.. اللّه.. إنّه مليء بالمجوهرات.. كنز، سنغتني إلى الأبد، هيّا.. افتح الكيس ريثما أنزع عنه الغطاء.

عندما سمع المحارب هذا الكلام، نسي حقده على الصندوق واصطبغ وجهه بالحمرة، وبلمح البصر، استلّ سيفه من غمده فلمع ضوء كأنه الشهاب ثم صاح:

-مكانكما أيّها اللّصان.. سأقطعكما إرباً إرباً.

ذعر اللصان، وأطلقا ساقيهما للريح، لائذين بالفرار.

في اليوم التالي..شعر المحارب -أوّل مرّة - بالزّهو والفخر فها هم الزائرون يقفون حوله، مبهورين بلمعان سيفه الذي فاق لمعان صندوق المجوهرات، حتّى أن إحدى الفتيات تمنت أن يخطبها شابّ قويّ وجميل، يشبه المحارب تماماً.

حانت ساعته

ذكر رفاعه رافع الطهطاوي في مشاهداته ان باصاً كان مليئاً بالركاب، وكان سائقه يلتفت يمنة ويسرة وفجأة توقف. قال له الركاب: لم توقفت؟! قال توقفت لهذا الشيخ الكبير الذي يشير بيده ليركب معنا! قالوا: اننا لا نرى احداً. قال: انظروا اليه .قالوا: لا نرى احداً! قال: لقد اقبل الآن ليركب، الا ترونه ؟! قالوا جميعاً: والله لا نرى احداً من الناس.. وفجأة مات السائق على مقعده. لقد حانت منيته وحلت وفاته، وكان هذا سبباً في كلامه عن كونه يرى شيخاً يريد الركوب معهم.

حكم وامثال

■ نحن بالتفكير والله بالتدبير
■ لولا الأمل بطل العمل
■ كل شئ بالأمل إلا الرزق بالعمل
■ أحسن إلى المسيء تسده
■ أتقوا من تبغضه قلوبكم
■ لا تؤخر عمل يومك لغدك
■ من يئس من شئ أستغنى عنه
■ إذا ما تستحي أعمل ما تشتهي
■ بيضه اليوم خير من دجاجه الغد
■ الحرمان خير من الامتنان

ابتسامات

لا داعي للقلق!

سأل شخص يعوم صياد سمك: هل يوجد سمك كبير في هذا المكان؟ اجابه: لا تقلق يا عزيزي فالتماسيح هنا تأكل السمك الكبير والصغير ايضاً!

ابن المليونير

قال الحلاق لاحد زبائنه: يعطيني ابنك عشرين جنيهاً وتعطيني انت خمسة جنيهات فقط؟!

اجابه: ابني ابوه مليونير اما انا فكان ابي فقيراً!

صراع النمل الفضي .. مع السحالي المفترسة

الحياة في الصحاري المشهورة بحرارتها الفائقة، صعبة جداً لجميع من يعيش فيها، لكن نوعاً من النمل الصحراوي يحمل اسم «النمل الفضي» يتميز بمواجهة ناجحة لظروفه، يستحق من اجلها لقب «اقوى مخلوق على الارض».

وبعكس جميع المخلوقات التي تهرب الى اوكارها اثناء وصول اشعة الشمس الى ذروة حرارتها ظهراً، يخرج النمل من عشه مع لهيب هذه الحرارة لثقته بأن مفترسيه يختبئون تحت الرمال وخلال دقائق يقوم بنقل ضحايا الحرارة من عناكب وخنافس وغيرها عجزت عن الوصول الى اوكارها الى المخبأ الامين تحت الرمال ، وتتم هذه العملية بسرعة لتفادي هبوط حرارة الرمال وخروج المفترسين.

اخطر اعداء هذا النمل سحالي كبيرة مفترسة، تبحث دائماً عن النمل الفضي لالتهامه، مع غيره من الحشرات.. الصراع بينهما تتوقف نتيجته على دقائق معدودة، اذا اخطأ النمل في حسابه وفي بحثه عن الطعام، او فقد افراد منه الطريق الصحيح الى الوكر يكون المصير المحتوم مواجهة السحالي المفترسة والتحول الى وجبة، فهذه الدقائق كافية لهبوط الحرارة درجة واحدة، تتيح خروج السحالي م مخبئها والله في خلقه شؤون.

عنكبوت البحر

يعتبر عنكبوت البحر نوعاً من السرطانات التي تعيش في قاع البحر. انه يحسن عملية التخفي عن الاعداء، ذلك انه يجمع بعض ما يجده من الاسفنج والديدان ويضعها فوق ظهره فتلتصق به ويختفي تحتها. عندما يشعر بالجوع ولا يجد طعاماً فإنه يمد مخلبه فوق ظهره ويلتقط جزءاً من حمله ويلتهمه. هذا النوع من سرطانات البحر له قدرة كبيرة في تمييز الالوان، فإذا كانت على ظهره طحالب خضراء وانتقل الى مكان به طحالب خضراء وانتقل الى مكان به طحالب حمراء فإنه ينزع الخضراء ويضع مكانها الحمراء، وكل هذا ليكسب جسمه لون الوسط المحيط به.

اصدقاء عالم الاطفال

لغز التناسل في عالم الاسماك

تعيش في البحار مئات الانواع من الاسماك، يتميز تناسل معظمها بسلوك يتحدى الخيال، فأسماك من نوع «سيامي» او ابوشوكة، تبني ما يشبه العش في رمال وحصى المناطق القريبة من الشواطىء، تضع بيضها وتحرسه حتى الفقس، وهناك انواع تختزن بيضها بداخلها، ليتحول الى اسماك صغيرة، تطلقها من فمها فتبدو ظاهريا اشبه بالحيوانات التي تلد وترضع صغارها.

لكن اغرب ما اكتشفه علماء البحار، هو نوع اسمه «سمك الكوبي»، الانثى تختار الزوج وفقا لشروط محددة، ان يكون الاكثر بهاء في لونه، وشجاعا يقبل المخاطرة بحياته من اجل زوجته، اذا شعر باقتراب مفترس منها.

واحيانا تتنافس الذكور من اجل انثى تراقب المعركة ثم تختار الاقوى، ويفسر العلماء سلوك هذا النوع بأن الاناث تكون اكثر تدقيقا عند اختيار الزوج، فبيضها قليل، ويوضع على فترات متباعدة، من اجل نسل يتمتع بالجمال، والقوة، ينبغي ان يكون الاب حاملا لموروثات تحقق هذا الغرض!